فلعل هذا النص يتحول إلى زخة مطر تساعد على إعادة الحياة لجذور كانت ذات يوم أشجاراً باسقة وروحاً محركة للمسيرة التحررية الفلسطينية، التي نقشت حروفها ولوّنتها تضحيات مجاميع من الناس العاديين من مثقفين وطلبة وعمال وفلاحين وربات بيوت ومهمشين، ورواد امتشقوا جرأة الاكتشاف وآثروا القبض على زناد أحلامهم، مهتدين بكلمات هيجل (بالمجازفة بالحياة يتم انتزاع الحرية)، مدركين منطق باولو فريري (إن اكتساب وعي انتقادي للاضطهاد يتطلب ممارسة النضال، وأخطر العقبات أن يطمس الاضطهاد ضمائر المضطهدين ويدّجنهم)[٦]، وسوف نكتشف في المتن النتائج الجدية لكلماته (الثوريون الذين لا يتصرفون بشكل حواري ليسوا ثوريين حقيقيين، فالعمل التحرري حواري بطبيعته... التحرر حالة دائمة، وبالتالي فالحوار جانبٌ مستمرٌ في العمل التحرري.. ولا يوجد حوار دون تواضع، فإعادة خلق العالم لا تكون عملية عجرفة)[٧].

ولأن الحلقة المركزية في الأطروحة تتمحور حول العملية التنظيمية، فمن البديهي أن تحظى النظرية التنظيمية وترجماتها بالمساحة الأساسية، وبشكل أخص الوجه السري. فهل جاء براكسيس الجبهة الشعبية كفصيلة وطنية يسارية منسجما أم متناقضا مع منظور ماركس (في النشاط الثوري يتطابق تحويل الذات مع تحويل الظروف)[٨]. وأن (نظرية لينين تنطلق من تكوين الوعي الطبقي من التمييز الجوهري بالنسبة للماركسية بين الطبقة في ذاتها والطبقة لذاتها... فاستنتج مفهوم النضال الطبقي الابتدائي والنضال الطبقي الثوري). وأن (أحد الأفكار الأساسية لكتاب لينين ما العمل؟ هي أن البروليتاريا عبر الممارسة الأساسية تبلغ الوعي الطبقي المرتفع، وهذا هو الأساس الذي يوجب ضرورة حزب الطليعة، كذاكرة جماعية وضمير جمعي)[٩]. فهل كانت الجبهة الشعبية سحباً ميكانيكياً لهذه المضامين أم أن النظرية رمادية وشجرة الحياة خضراء وأكثر تعقيداً وأوسع فضاء من النظريات، وبالتالي حضرت الممارسة السياسية ضمن شروطها الخاصة. وهذه الشروط لا يكفيها منظورات ماركس الطبقية، ولا منظورات لينين للمسألة القومية، بل تبدأ قبلئذ وبعدئذ من الخصوصية الأبرز للمسألة الفلسطينية، أي اقتلاع معظم الشعب من وطنه واحتلال كامل ترابه الوطني وزرعه بمجتمع استيطاني كولونيالي عنصري غريب عن الجغرافيا والتاريخ. وإلى أية درجة كانت الجبهة الشعبية فصيلة وطنية تحررية تلتزم

٦) فريري، باولو. نظرات في تربية المضطدين. دار التنوير – رام الله. ص١٨

٧) فريري، المرجع السابق. ص ١١٢،٦٩،٢٥

٨) د. ماركس، كارل. الأيديولوجيا الألمانية. ص٣٣

٩) د. مندل، أرنست. لينين ومسألة الوعي الطبقي. ١٩٧٠. ص ١٤،١٣،١٢